تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الأولى

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واجعل ما علمتنا حجة لنا لا علينا وشاهدا لنا لا علينا.

أيها الإخوة الكرام طلاب أكاديمية تفسير للدراسات القرآنية، أرحب بكم في المحاضرة الأولى لمقرر تاريخ التفسير والتي تُقدَّم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول، وأسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.

في بدء هذا المقرر أرحب بكم وأهنئكم على انضمامكم لهذا البرنامج، وأسأل الله -عز وجل- أن يبلغ بكم مبالغ أهل العلم وأن يسلك بكم سبيلهم، وأوصيكم مع بدء هذا المقرر بإخلاص النية لله -عز وجل- فإن هذا العلم عبادة. فكما يصفَ الإنسان قدميه ليصلي لله -عز وجل-، وكما يُمسك عن الطعام والشراب صياما لله، وكما يقصد بيت الله -عز وجل- لحجه وعمرته، كذلك هذا العلم عبادة لله، ولهذا صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : "من تعلَّمَ علِمًا مِمَّا يبتَغى بِهِ وجهُ اللَّهِ، لا يَتعلَّمُهُ إلَّا ليُصيبَ بِهِ عَرَضًا منَ الدُّنيا، لم يجِد عَرفَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ". ولا بأس بالإنسان أن يجدد نيته وأن يراجعها وأن يصفيها بين الفينة والأخرى، فقد يبدأ الإنسان بنية حسنة لكن تأتيه الشوائب بعد ذلك فيراجع نفسه ويحاسبها، وربما بدأ الإنسان ونيته فيها شوائب فيصفيها وينقيها. والعلم، علم هذه الشريعة، بفضل الله -عز وجل- يورث في المرء تذكرا لحقيقة مرده لله -عز وجل- مما يعينه على تصفية وتنقية نيته. كما أوصيكم بالفرصة التي أتيحت لكم فهي والله فرصة جد عظيمة لتحصيل هذا العلم المبارك الذي ينفع الإنسان في دينه ودنياه وفي دنياه وآخرته .

هذا المقرر -أعني به مقرر تاريخ التفسير- سندرس فيه عددا من المفردات والموضوعات المتنوعة الكثيرة التي تُبتنَى على رصد لتاريخ علم التفسير. سنتناول في هذا المقرر عددا من الموضوعات ومنها: الكلام عن مصطلح التفسير، والكلام عن أهمية علم التفسير وحكمه وفضله ومنزلته، والكلام عن المؤلفات في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، سنتكلم بكثير من التفصيل فيما يتعلق بنشأة هذا العلم وتطوره، كما سنرصد أيضا المراحل التي مر بها هذا العلم، وسنقوم بتقسيم مراحل هذا العلم منذ نشأته إلى يومنا هذا، أيضاً سنذكر أبرز المراحل والمحطات التي مر بها هذا العلم منذ نشأته، ثم تطوره وازدهاره، ثم بعد ذلك ركوده، إلى عصرنا الحديث.

ولهذا سيكون من ضمن كلامي عن مراحل هذا العلم الكلام عن عصر النبوة، وعن التفسير النبوي، عن طريقة النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيان القرآن، وسنتكلم أيضا عن تفسير الصحابة وأشهر من عُني بالتفسير من

الصحابة، كما سنتكلم عن مظانّ تفسيرهم أيضا، ومثل ذلك سيكون كلامنا أيضا عن التابعين وعنايتهم بكتاب الله -عز وجل- وأشهر من عني بالتفسير منهم، وكذلك مظانّ أقوالهم في التفسير. سيكون أيضاً لنا وقفة مختصرة مع الإسرائيليات وسبب الضعف في التفسير بالمأثور. هذا وسنتكلم أيضا عن سمات التفسير في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي عهد الصحابة، وفي عهد التابعين. أيضا سيكون كلامنا كذلك عن تدوين هذا العلم، وبداية تدوينه، وسمات التدوين فيه، وأبرز من دون في هذا العلم. سنتكلم أيضا عن ازدهار هذا العلم وتطوره وانتشاره وتوسّعه وكثرة المؤلفات فيه وأبرز المؤلفات التي أُلفت في هذا العلم. كما سيكون كلامنا أيضا عن مرحلة مرَ بها هذا العلم من الركود وأسباب ذلك، وأبرز الكتب التي أُلفت في تلك المرحلة. سنختم حديثنا بالكلام عن العصر الحديث والنهضة العلمية التي شهدتها علوم الشريعة ومن ضمنها وأهمها علم التفسير، وسنتكلم عن أبرز سمة تميز العصر الحديث وأبرز المؤلفات في هذا العصر .

تلك أيها الإخوة لمحة سريعة عن الموضوعات التي سندرسها في هذا العلم.

ما الذي سنخرج منه بعد دراسة هذا المقرر؟

أرجو الله -عز وجل- أن نكون بعد انتهائنا من دراسة هذا المقرر قد رسمنا خريطة ذهنية للمراحل التي مر بها علم التفسير. أي علم من العلوم له خط زمني وخريطة ذهنية، هذا الخط الزمني يبدأ منذ ولادة هذا العلم -وهو نشأة هذا العلم وظهوره-، ثم بعد ذلك يبدأ هذا الخط الزمني بالتصاعد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ أوج هذا العلم ويسمى بالعصر الذهبي أو عصر الازدهار والتطور. بعض العلوم تحافظ على هذا المستوى، وهي علوم قليلة نادرة، وبعضها يمر بها مراحل من الركود لهذا العلم وقد ترجع مرة أخرى فتصعد وتتطور إلى عصرنا الحديث .

إذن، إن شاء الله -عز وجل- إذا أكملنا دراسة هذا المقرر سيكون في أذهاننا خط زمني لتاريخ علم التفسير. بعد الانتهاء من دراسة هذا المقرر سنخرج بمادة علمية تتعلق بالمصادر التي ألفت في علم التفسير، سيكون تركيزنا على تلك المصادر والكتب التي لها تأثير كبير في علم التفسير والتي تعتبر من المصادر الأصيلة في هذا العلم، سنمر أيضا مرور الكرام على ارتباط علوم الشريعة بعضها ببعض ومن ضمنها علم التفسير، وسنناقش أيضا بعض الأفكار العلمية المتعلقة بوجه ارتباط علوم الشريعة بعضها ببعض .

تلك أيها الإخوة بعض من أبرز المخرجات التي نرجو الله -عز وجل- أن يوفقنا لها بعد إكمالنا لهذا المقرر.

✓ تمهيد عن "تاريخ التفسير"

الحقيقة أن كلمة **التاريخ** من الكلمات التي تشيع وتنتشر عند العامة والخاصة، كل الناس، صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، يتكلمون عن التاريخ، ولكل منا مفهومه للتاريخ، فكل شخص له مفهومه للتاريخ، بل كل أمة وكل عصر لهم مفاهيمهم في التاريخ، يعني أمة الإسلام لها فهم للتاريخ يختلف عن غيرها من الأمم .

وقد يكون هناك فهم للتاريخ في عصر من العصور يختلف عن عصر آخر، وقد يكون الفهم لمعنى التاريخ عند العرب غير معنى التاريخ عند غيرهم، ولكن في كل المعاني بكل الدلالات وبكل الإيحاءات، فإن معنى التاريخ مرتبط بالزمن. معنى التاريخ دائما مرتبط بالزمن الماضي، فما قبل هذه اللحظة هو تاريخ، وهذه هي علامة فارقة في مسألة التاريخ، فكل ما سبق هذه اللحظة فهو من التاريخ، كذلك التاريخ يُبتنى على استقراء السنن الكونية، والسنن الإلهية في وجود الأمم وظهورها وعوامل ازدهارها وتطورها وسماتها ثم أيضا اندثارها وأسباب ذلك الاندثار .

✓ لماذا ندرس علم تاريخ التفسير؟ ما الفائدة التي قد نخرج بها من دراسة لأمر ماض قد انقضى؟

- إن دراسة تاريخ أي علم ومنه دراسة تاريخ علم التفسير أمر مهم، فعند دراسة كل علم، يجب أن يبتدئ طالب العلم بدراسة تاريخه، وبدراسة نشأته وتطوره، وبدراسة المراحل التي مر بها هذا لعلم، لماذا؟ لأن ذلك -كما قدمت قبل قليل- يساعدنا على رسم خريطة ذهنية عن هذا العلم، وتصور إجمالي لهذا العلم. الدراسة التاريخية للعلم تعطيك تصوراً إجمالياً عن هذا العلم، وعن أقسامه، وعن مراحله، وعن أنواعه، وعن المؤلفات فيه، والمصادر، وعن المراحل التي تقلب فيها .
- كذلك يعطينا تصورا عاما عن الخط الزمني لهذا العلم منذ نشأته إلى العصر الحديث،
- كذلك دراسة تاريخ التفسير توقفنا على الجهد الضخم الجبار الذي بذله أهل العلم على مر العصور منذ نشأة هذا العلم وظهوره إلى يومنا هذا. فهذا في الحقيقة إرث حضاري ضخم نفاخر به كل الأمم حينما ننظر إلى التراث الضخم الذي خلفه أهل الإسلام من العلماء فيما يتعلق بمجال التفسير، ولو نظرت إلى المصادر التي تشير إلى التاريخ في علم التفسير وما يرتبط به لهالَك عظم الأمر ولكان هذا المطبوع الموجود بين أيدينا يشكل جزءا محدودا من التراث العلمي لهذه الأمة والذي بعضه قد فُقد، وبعضه قد نُسي، وبعضه قد ضاع في جملة ما ضاع، وبعضه قد أُتلِف في جملة ما أُتلِف.

تلك بعض السمات المهمة لدراسة علم تاريخ التفسير.

✓ تعريف مصطلح "التفسير"

حتى ندرس تاريخ التفسير لا بد انا أن نفهم ما المراد بمصطلح التفسير الذي سندرس تاريخه؛ لأن تحرير المصطلح ومعرفة المراد به يعيننا أيضا على معرفة تاريخه، بحيث أننا إذا درسنا وعرفنا مصطلح التفسير استطعنا أن نضبط التاريخ المرتبط به فلا ندخل في أمور أخرى خارجة عن معنى التفسير، وهذا له أهميته ويكشف مقدار أهمية معرفة مصطلح علم التفسير؛ بل ضبط المصطلحات بشكل عام حتى تعرف تاريخها وما الذي تدرسه منها، ما الذي يدخل فيها ويخرج عنها .

تعريف التفسير في اللغة:

التفسير، كما يقول ابن فارس، إن مادة فَسَرَ (الفاء والسين و الراء) كلها أصل صحيح واحد يدور على معنى **الكشف والجلاء**. مادة فسر هذه كلها تدور على معنى الكشف والجلاء؛ لذلك يسمى السَفَر سفرا، يقولون لأنه يكشف عن أخلاق الناس، وقيل لأنهم ينكشفون عن أماكنهم، أيضا منه يقال سَفَرت المرأة عن وجهها أي كشفت عن وجهها، ومنه المرأة السافرة يعني الكاشفة عن وجهها، منه أن يقال أسفر الصبح يعني إذا انكشف الظلام وبان النهار يسمى عندئذ انكشافا. كلها إذن تدور حول معنى الكشف والجلاء. وهذا المعنى اللغوي لكلمة التفسير هو بعينه يدور عليه المعنى الاصطلاحي لكلمة التفسير.

تعريف التفسير في الاصطلاح:

فالتفسير يدور حول معنى الكشف، ويدور حول معنى البيان، ويدور حول معنى الجلاء لكتاب الله -عز وجل-. وإذا نظرنا لكلام أهل العلم في تعريف مصطلح التفسير سنجد محاولات متنوعة ومختلفة في ذكرهم لمصطلح التفسير. فمنهم من يطيل في ذلك ومنهم من يقصر، منهم من يكون تعريفه أشبه ما يكون بالشرح ومنهم من يكون مختصرا جدا. وهناك إشكالية تواجه العلوم النظرية في التعريف، فالعلوم النظرية يواجه أهل العلم إشكالية في تعريفها لأن العلوم النظرية في الغالب توصف ولا تحد، وأيا يكن اختلاف أهل العلم في مصطلح التفسير فإنه يدور على ثلاثة أركان:

- أن هذا التفسير علم كسائر العلوم،
- وأنه متعلق بالقرآن الكريم فليس علما متعلقا بالسنة أو بالعقيدة أو غيرها بل بالقرآن الكريم.
- وأن غايته فهم مراد الله -عز وجل- في كتابه .

هذه ثلاثة أركان يجب أن تتوفر في أي تعريف من التعاريف التي تذكر في التفسير.

إذا فهمنا هذه الأركان وقارنّاها بالمعنى اللغوي نستطيع أن نذكر اصطلاحا أو تعريفا يحقق هذا المعنى، فممكن أن يقال مثلا : **إن التفسيرعلم يبحث في فهم معاني القرآن الكريم .**

✓ ما الأهمية لعلم التفسير؟ وما الحاجة له؟ وما الذي يدعونا إلى دراسة علم التفسير؟

- إن دراسة هذا العلم له ثمرات كثيرة تدل على أهميته، يكفي في ذلك أن هذا العلم متعلق بأشرف ما يمكن للإنسان أن يشتغل به، فهو متعلق بكلام الله -عز وجل-، والشيء يشرف بحسب ما يضاف إليه، وكفى شرفا أن يكون تعلقه بكلام الله -عز وجل-، إذ أن فضل كلامه -عز وجل- على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه. هذا الارتباط -ارتباط التفسير بكلام الله- يعطيه أفضل المقام وأعلاه وأشرفه.
- إن علم التفسير لما كان مرتبطا بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم كما أخبر الله -عز وجل- عن كتابه بأنه هدى وبيان وشفاء ورشاد للخلق، ونحن لا نستطيع أن نقف على هذا الهدى وهذا البيان وهذا الرشاد إلا بفهم كلام

الله -عز وجل-، ووسيلتنا لفهم كلام الله هو التفسير. إذن، تفسير كلام الله -عز وجل- يجعلنا نقف على ما في هذا الكتاب من الهدى والبيان والرشاد .

- وأمر آخر له ارتباط بهذه الفائدة الدالة على أهمية هذا العلم وهي أن القرآن الكريم قد تضمن ما يحبه الله ويرضاه، كذلك تضمن ما يبغضه -عز وجل- و يأباه، تضمن ما أمر الله به خلقه وما نهاهم عنه، فهو رسالة الله -عز وجل- لخلقه وهو الصلة بين الخالق والمخلوق، فنحن لا نستطيع أن نعرف ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به، ولا نستطيع أن نعرف ما الذي نهى الله عنه، وما الذي لا يحبه الله، إلا بهذا الكتاب، فتفسير هذا الكتاب يعيننا على فهم ومعرفة ما يريده الله -عز وجل- منا وما أمرنا به وكذلك ما نهانا عنه وما أبغضه -عز وجل- .

✓ **ما الأوجه التي يعرف بها تأويل القرآن الكريم؟**

إذا قلنا بأن التفسير بهذه الأهمية وهذه المكانة فما هي الأوجه التي نستطيع بها أن نؤول القرآن الكريم؟

هناك أوجه متنوعة لتأويل القرآن الكريم أشار إليها حبر الأمة وترجمان القرآن **ابن عباس** -رضي الله عنه- حينما قال : "التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله". فهذه أربعة أوجه ذكرها ابن عباس.

1. **وجه يعرفه الناس بمقتضى لغة العرب**: بمجرد أنك ناطق بلغة العرب تفهم القرآن الكريم، وأكثر القرآن الكريم جاء على هذا النحو، ولهذا قال الله -عز وجل- في كتابه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 195)، بيّن واضح، بمجرد أن تكون ناطقا باللغة العربية تفهم أكثر كلام الله -عز وجل-، وهذا معنى قوله -عز وجل-، أو هذا جزء من معنى قوله -عز وجل- قوله :﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: 17)، كونه بلسان عربي واضح يعين على التذكر وعلى الفهم.
2. **وجه لا يعذر أحد بجهله**: وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل هذا الكلام في الفقرة التالية، نوع من كلام الله -عز وجل- أو من التفسير لا يعذر أحد بجهله، لا يعذر مكلف بجهله وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك .
3. **تفسير لا يعلمه إلا العلماء**: وهذا هو النوع الثالث الذي أشار إليه ابن عباس رضي الله عنه. إذن إذا كان لا يعلمه إلا العلماء فهو نوع خاص يحتاج إلى علم خاص.
4. **تفسير لا يعلمه إلا الله -عزوجل-**: وهذا النوع يشير فيه ابن عباس -رضي الله عنه- إلى الغيبيات التي طوى الله -عز وجل- علمها عن خلقه. وهذه الغيبيات كثيرة، مثل خبر الله -عز وجل- عن الأحداث التي تسبق قيام الساعة، هذه أحداث غيبية، كعلامات الساعة الكبرى التي تقع قرب قيام الساعة، فهي غيب محجوب عنا. أو تلك التي تقع بعد قيام الساعة كما يقع للموتى في قبورهم أو بعد قيامهم، وكذلك ما ذكر الله -عز وجل- من صفة الجنة والنار وما يرتبط بهما، فذاك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله . من الغيب أيضا حقائق ما

أخبر الله -عز وجل- من صفاته فقد أخبر الله -عز وجل- عن كثير من صفاته، وحقائق هذه الصفات كيفياتها، هذه غيب غطى الله -عز وجل- عنا معرفتها، مثل قول الله -عز وجل-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:11).

هذه الأقسام الأربعة ما الذي يشتغل عليه المفسرون منها ؟

أهل العلم يشتغلون على الأنواع الثلاثة الأولى: على ما يعرفه العرب بلسانهم، وعلى ما لا يُعذر أحد بجهله، وعلى ما يعرفه العلماء، أما النوع الرابع وهو ما لا يعرفه إلا الله فذاك غيب محجوب لا يستطيع أحد من الخلق أن يعرفه، ومن حاول فإنه لن يصل. ولذلك هناك من حاول معرفة بعض حقائق الغيبيات فجاء بقول مبتَدع، فسر القرآن الكريم على ما يخالف لغة العرب، وعلى ما يخالف ما ثبت من الشريعة من أقوال أهل الابتداع. ومما نستانس به في هذا المقام ما قاله الطبري -رحمه الله- في مقدمته حيث قال: "إن أنواع التفسير ثلاثة: ما لا يعلمه إلا الله، ونوع منه ما يُعلم من جهة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونوع منه ما يعلمه كل ذي علم باللسان بشرط ألا تخرج عن أقوال السلف" .

نقف عند هذا القدر ونكمل إن شاء الله -عز وجل- في المحاضرة القادمة.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**

قام بالمراجعة والتدقيق: **أخت في الله**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط الصياغة، والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. يطيب لي الترحيب بكم في الحلقة الثانية من مقرر تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

أيها الإخوة و الأخوات كنا في الحلقة السابقة قد تكلمنا عن مقدمة سريعة للتعريف بهذا المقرر وبما يحتويه من مفردات وأشرنا إلى بعض المفردات الأساسية التي سنتناولها في هذا المقرر. كذلك تكلمنا عن تعريف التفسير باختصار، وعن أركان التعريف، وأشرنا إلى مصادر علم التفسير، وأشرنا إلي أهمية علم التفسير. أيضاً تكلمنا عن تاريخ علم التفسير، وأهمية العناية به. أشرنا إلى أوجه التفسير أيضاً، كذلك وقفنا عند مقولة **ابن عباس** -رضي الله تعالى عنه- في أوجه تفسير كلام الله -عز وجل-، حيث أشار إلى أن تفسير كلام الله -عز وجل- على **أربعة أوجه**:

1- منه ما تعرفه العرب بلغتها

2- ومنه مالا يعذر أحٌد بجهلة

3- ومنه مالا يعلمه إلا العلماء

4- ومنه مالا يعلمه إلا الله -عز وجل-.

وهذه الرواية عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنه- تلقي الضوء على مسألة أيضاً ستكون محل بحثنا في هذه المحاضرة وهي:

✓ حكم التفسير

هذا العلم بهذه الأهمية وهذه المكانة، وهو مرتبط بكلام الله -عز وجل-، الذي هو النور والهدى والضياء، والذي هو يتضمن ما يحبه الله -عز وجل- ويرضاه وما لا يحبه ولا يرضاه، هذا العلم، ما حكمه وماحكم تعلمه والأخذ به؟ الحقيقة أن مقولة **ابن عباس** -رضي الله تعالى عنه- تلقي مزيداً من الضوء إذا أردنا أن نعرف حكم تفسير كلام الله -عز وجل- فهي تجعلنا ابتداءً ندرك أن **كلام الله -عزوجل- يمكن أن يقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: ما يتعلق بأفعال المكلفين، مثل: الأمر والنهي والحلال والحرام .

وحكم تعلم هذه الآيات: يجب على كل مكلف أن يعلم مراد الله -عز وجل- في ذلك، وأن يفهم عن الله -عز وجل- مراده . فحينما يقول الله -عز وجل-: ﴿وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ويقول -تعالى-: ﴿وآتُوا الزَّكَاةَ﴾، ويقول -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ : 97]، هذه تكليفات فيها أمر وفيها نهي فيجب على المكلف

أن يفهم مراد الله -عز وجل- فيها. ومثل قول الله -عز وجل-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ....﴾ [الْمَائِدَةِ : 3] هذه تتضمن عدداً من المحرمات التي حرمها الله -عز وجل- علينا، فيجب على المكلف أن يعرف مراد الله في هذه الآيات. إذن، هذا النوع من الآيات يجب على المكلف أن يعلم مراد الله فيها، ومثله تماماً ما يتعلق باعتقاد المكلف إجمالا؛ المسائل الاعتقادية التي يجب على المكلف اعتقادها إجمالا يجب عليه أن يعلم مراد الله -عز وجل- فيها .

القسم الثاني: ما لا يتعلق بأفعال المكلفين حلالاً وحراماً، وجوباً وتحريما بل هي يمكن أن يقال أنها آيات هدى ورشاد وبيان، وأنها تهدي للتي هي أقوم كما قال الله -عز وجل- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءِ : 9]، هذا النوع من الآيات لا تعلق لأفعال المكلفين من العباد بها من حيث الإجمال.

وحكم تعلم هذه الآيات ومعرفتها: فهمها ومعرفة مراد الله فيها من فروض الكفايات. لا يجب على كل أحد أن يعرف مراد الله -عز وجل- فيها، وما مقصوده منها، لأن لا يتَّرتب عليها تكليف وثواب وعقاب، بل كلما ازداد الإنسان علماً وهدىً سيزداد بصيرة، لكن لا نستطيع أن نلزمه بذلك وأن نكلفه بهذا؛ لأن التكليف يلزم عليه الثواب أو العقاب. وهذا النوع من الآيات تعلمها من فروض الكفاية؛ إذا قام به بعض الأمة سقط عن البقية، ولا يجب على الأمة جميعا أن تعرف مراد الله -عز وجل- فيها .

وإذا كان هذا حكم التفسير، وأن فيه مما يجب علينا جميعا معرفته وفيه مما يجب على بعض المكلفين دون بعض، فهذا يقودنا إلى أن نسأل سؤلاً آخر: ماهي المصادر التي تعيننا على فهم كلام الله -عز وجل- ؟

✓ مصادر التفسير

كل علم من العلوم له مصادره التي يعتمد عليها في فهمه ومعرفته ومعرفة أصوله ومسائله وفروعه، كذلك علم التفسير له عدد من المصادر، نحن لا نريد في هذا المقرر بسط الكلام عن المصادر ولا الحديث عنها بتوسع؛ لأن هناك مقرر خاص سيتناولها بالتفصيل وهو مقرر أصول التفسير الذي سيمر عليكم إن شاء الله -عز وجل- في مستويات قادمة، لذلك سنذكر تلك المصادر باختصار حتى نربط أجزاء المقرر بعضه ببعض:

1. أول مصادر التفسير: القرآن الكريم

القرآن نفسه وذاته هو أول مصادر التفسير؛ لأن كلام الله -عز وجل- أولى ما فسر به، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: هو كلامه -عز وجل- أعلم المتكلمين بالكلام من تكلم به بذاته. ولهذا ما أجمله الله -عز وجل- في موضع بَيَنَه

في موضع آخر، وما ورد عاماً في موضع خصصه في موضع آخر، وما ورد مطلقاً في موضع قيده في غيره، ما ورد مبهماً في موضع تجد له تعييناً وبياناً في موضع آخر .

ومثال ذلك قوله -عز وجل-: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الْفَاتِحَةِ : 6-7] ، المنعَم عليهم في الآية وصف مجمل، فمن هم؟ هؤلاء جاء تفصيلهم في موضع آخر حيث يقول الله -عز وجل-: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاءِ : 69]، فجاءت مجملة في موضع ومفصلة في موضع آخر.

2. السنة النبوية :

إن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو أعرف الناس بمراد الله -عز وجل-، بل مهمته الأساسية بيان القرآن الكريم. يقول -عز وجل- ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل،44]. فمهمة النبي صلى الله عليه وسلم الأساسية هي بيان القرآن، فضلاً عن أنه أعظم من تكلم بلغة العرب وأعرف الناس بهذا اللسان، وهو أيضا عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ومثال آخر فى قول الله -عز وجل-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ : 82]، هذه الآية عندما نزلت أشكلت على الصحابة رضي الله عنهم وشقت عليهم؛ لأنه ما من أحد منا إلا وقد وقع منه ظلم لنفسه، تفريط في بعض ما أمر الله -عز وجل- به، أو تفريط في الوقوع في بعض ما نهى الله -عز وجل- عنه. فإذا كان الجنة لا يدخلها إلا الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، فمعناه لن يدخل أحد الجنة. فشق ذلك على الصحابة فسألوا النبى الله -صلى عليه وسلم -فأزال عنهم الإشكال، وأخبر أن المراد بالظلم هنا هو الشرك، فقال: "أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"، فأزال الاشكال الذي كان عندهم.

3. أقوال الصحابة والتابعيين:

هم أفضل القرون وهم مع ذلك أيضاً أهل لسان، القرآن نزل بلغتهم. ومع أن القرآن نزل بلغتهم فإنه أيضاً نزل عليهم وأنهم هم الذين شاهدوا نزول القرآن، وعرفوا الأسباب التي احتفت بنزوله، والحوادث التي قارنت نزوله، لذلك سيكون فهمهم لمعاني القرآن العزيز أولى من فهم غيرهم وأتم، مع تعديل الله لهم، وفضلهم، وسلامة نياتهم ومقاصدهم، وعدم وجود البدع والأهواء التي ظهرت فيمن بعدهم. بل غالب التفسير الذي بين أيدينا ومعظمه ومجمله مأخوذ إما عن الصحابة أو عن التابعين، ولهذا أجمع أهل العلم أن أقوال الصحابة والتابعين -في الجملة- تقدم على أقوال من جاء بعدهم.

4. لغة العرب :

فإن القرآن كما أخبر الله -عز وجل- نزل بلسان العرب، يقول الله -عز وجل-: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء،195] ولهذا قال **ابن عباس**، كما مر معنا في الحلقة الماضية، حيث قال: "وتفسير تعرفه العرب بلغتها". فهذا القرآن نزل بلغة العرب، فبمجرد أن تتكلم بلغة العرب وتتقنها وتحسنها، تفهم مراد الله -عز وجل-، بل أكثر القرآن على هذا النحو، بمجرد كون الإنسان يتكلم بلغة عربية وبلسان صحيح سليم يفهم عن الله -عز وجل- مراده.

5. الفهم والاستنباط:

الفهم والاستنباط يمكن أن يعد مصدراً آخر من مصادر التفسير، وبعضهم لا يعده من مصادر التفسير ولا يمكن الرجوع له ويقع فيه خلاف.فبعض أهل العلم يعدونه من المصادر في التفسير؛ لأنه في ضوء فهم العالم أو المفسر للغة واستنباطه، فقد فِهم معنى الآية. وبعضهم يحمل على ذلك قول **علي بن أبي طالب** -رضي الله عنه- لما سُئل هل ترك لكم الرسول -صلى الله عليه وسلم- من شيء، قال: لا، إلا فهماً أوتيه عبد من عباد الله في كتاب الله -عز وجل-. على كلٍ هذا المصدر مما اختلف فيه أهل العلم ولكن أذكره من باب العلم به.

وهذه المصادر هي من أهم المصادر التي تُعتمد في فهم وتفسير كلام الله -عز وجل- :

الأول : القرآن الكريم

الثاني : السنة النبوية

الثالث : أقوال الصحابة والتابعين

الرابع : اللغة العربية

الخامس : الفهم والاستنباط

ولهذه المصادر تفصيلات وضوابط وسمات وخصائص بعضها سيمر معنا في الحلقات القادمة وبعضها سيمر معكم في مادة أصول التفسير وقد يمر معكم أيضاً بعضها في مناهج المفسرين واتجاهاتهم .

✓ التأليف في تاريخ التفسير

إذا كان تاريخ التفسير بهذه المكانة وله هذه الأهمية التي أشرنا إليها سابقا، فإن أنظار أهل العلم اتجهت إلى العناية برصد حركة هذا العلم منذ نشأته إلى يومنا هذا: حركة التدوين فيه، ورصد جهود أهل العلم في خدمة كلام الله -عز وجل- تدويناً، وحفظاً، وضبطاً له، وكل ما يتعلق بكلام الله -عز وجل-، ومن ذلك التفسير. المصادر التي تعتني بتاريخ التفسير متنوعة، منها:

- المؤلفات والموسوعات التي اعتنت بتاريخ التدوين في العلوم الإسلامية، وهذه تأتي في مقدمتها. هناك موسوعات اعتنت برصد حركة التدوين في العلوم الإسلامية، ومنها علم التفسير مثل كتاب ***كشف الظنون***

عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: **حاجي خليفة**. فقد ذكر كماً كبيرا هائلا من الكتب التي أُلفت في التفسير وفي غيرها من العلوم.

- من المصادر التي نعتمدها في تاريخ التفسير **كتب التراجم والطبقات**، سواء طبقات المفسرين أو غيرها. هذه تذكر، ترصد شيئًا من حركة التأليف في التفسير وترصد أيضاً جانباً من جهود أهل العلم في خدمة كلام الله -عز وجل-.
- أيضاً في العصر الحديث هناك عدد من **الرسائل والمؤلفات** التي رصدت الجهود العلمية وجهود هذه الأمة في تفسير كلام الله -عز وجل- حيث رصدت تلك المؤلفات ورصدت النشاطات العلمية والجهود المختلفة لأهل العلم في خدمة كلام الله -عز وجل-.

في العصر الحديث تتجه أنظار كثير من الباحثين إلى دراسة مناهج المفسرين. والحقيقة إن دراسة مناهج المفسرين هي جزء مهم من تاريخ التفسير، ولذلك يتداخل علم تاريخ التفسير مع مناهج المفسرين واتجاهاتهم؛ لأن دراسة مناهج المفسرين قد تدرس من جانب عصر من العصور، وقد تدرس أيضًا مناهجهم باعتبار مصر من الأمصار. فيمكن أن يدرس مثلًا القرن الثالث الهجري أو القرن الرابع الهجري. ممكن يدرس شمال أو شرق البلاد الإسلامية أو غربها مثلًا، أو يدرس منطقة معينة مثل بلاد الشام أو بلاد مصر. فيدرسها مصرًا من الأمصار أو عصراً من العصور. وقد يدرسها أيضا باعتبار اتجاه المفسر فيها، كمن يدرس مثلاً: الكتب التي اعتنت باللغة العربية، أو اعتنت بالأحكام التفصيلية. **فكتب مناهج المفسرين هي من أهم المصادر التي نعتمدها في رصد تاريخ التفسير**. ولهذا فغالب الكتب التي تكلمت عن مناهج المفسرين- الحقيقة- فيها رصد لتاريخ التفسير. من أشهرها (وكثيرًا ما يُتداول) كتاب ***التفسير والمفسرون*** للدكتور **حسين الذهبي**، وكتاب: ***المفسرون مدارسهم ومناهجهم*** للدكتور **فضل عباس**، أيضًا كتاب ***تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*** للدكتور **صلاح الخالدي**، وغيرها من الكتب والرسائل العلمية، وهي كثيرة جدًا، التي اعتنت بتاريخ التفسير ومناهج المفسرين.

أيها الإخوة، هذه مقدمة مختصرة أردنا أن نمهد بها قبل الدخول في رصد الحركة العلمية لتاريخ التفسير. تكلمنا عن تعريف التفسير، عن مصادره، عن أوجهه، عن أبرز المصادر التي تُعتمد في رصد حركة تاريخ التفسير، كل ذلك تمهيدًا للدخول في صلب الموضوع المتعلق برصد حركة التأليف والتدوين في علم التفسير، بل في حق ما يتعلق بتاريخ علم التفسير عمومًا والجهد العلمي الذي بذلته الأمة.

سنحاول إن شاء الله أن نبتديء الآن برصدٍ، نحاول من خلاله الوقوف على **مراحل نشأة علم التفسير وتطوره وازدهاره**، نرصدها من أول ما نشأ هذا العلم وظهر إلى يومنا هذا. ذلك أن كل علم من العلوم له دورة حياة تبتدئ بالنشأة والظهور، ثم التطور والاستمرار، ثم الازدهار. بعض العلوم قد تندثر، وبعضها قد تحافظ على بقائها

وتوهجها، وبعضها قد يصيبها نوع من الركود ثم ترجع مرة أخرى. كل علم - كما ذكرت لكم- له هذه الدورة من الحياة. فكل طالب علم متخصص في علم من العلوم لابد أن يكون عنده رصد لهذا العلم ودورة علمه وهو ما يسمى بالخط الزمني لهذا العلم أو الخريطة الذهنية لمسيرة هذا العلم منذ نشأته إلى يومنا هذا.

من المهم أن نعرف أن كل العلوم من حيث استوائها ونضجها على ثلاثة أنواع :

- علوم ما زالت تُطبخ .
- علوم طبخت ونضجت أيضاً.
- علوم طبخت ونضجت بل واحترَقت .

هكذا تكون **العلوم على ثلاثة أنواع**، فعلوم منها ما نضج ولم يستوِ، وعلوم منها ما طبخ ونضج واستوى على سوقه، وعلم طبخ ونضج واحترق بمعنى لم يعد فيه مجال للزيادة. ولذلك أذكر في ذلك مقولة **الزركشي** التي نقلها عن بعض مشائخه في كتابه ***المنثور في قواعد الأصول*** حيث قال: "فائدة: **كان بعض مشائخي يقول العلوم ثلاثة: علمٌ نَضَجَ وما احترق مثل علم الأصول والنحو، وعلمٌ لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث**" انتهى كلامه .

بغض النظر عن هذه الأمثلة التي ضربت على هذه الأنواع الثلاثة هل هي صحيحة أم لا، فهذا الكلام فيه مجال للبحث والنظر، وإنما المقصود هو الإشارة إلى أن العلوم متفاوتة هذا التفاوت الذي ذكره الزركشي، ومنه علم التفسير الذي مر بمراحل تطور فيها وازدهر، ثم مر بمرحلة أصابه الركود، ثم بمرحلة بعد ذلك في عصرنا الحديث. وكل مرحلة من هذه المراحل لها خصائصها، ولها سماتها، ولها ميزتها عن المرحلة التي تسبقها أو تأتي بعدها.

وهنا أريد الإشارة إلى تنبيهين وهما المقصود من ذكر هذه المراحل وتقسيمها وهما:

الأمر الأول: تقريب الصورة لطالب العلم

تقريب الصورة التاريخية، فنحن سنتكلم عن 1500 سنة، فنحن نريد أن نقرب لطالب العلم الخط الزمني لهذا العلم -علم التفسير- ولا نريد أن نقول أنها مراحل قطعية ولا مجال للإختلاف فيها، لا، بل فيها خلاف، وقد يضع أحد الباحثين خمس مراحل وقد يأتي آخر ويضع ست مراحل أو سبع مراحل فيزيد وينقص، لذا هذه المراحل المقصود بها هو تقريب الصورة الزمنية لطالب العلم. ولذلك هي ليست حدية نهائية قطعية، وإنما هي خاضعة للاجتهاد. وقد تقبل هذه الأقسام وقد لا تقبل، وقد يزيد الباحث عليها وقد ينقص عنها.

الأمر الثاني: ليست كل العلوم مستوية في هذه المراحل والتقسيمات.

علم التفسير له مراحله الخاصة، قد نجد علمًا من علوم القرآن تختلف مراحله، أو نجد مثلاً علم الحديث تختلف مراحله عن علم التفسير. لكل علم من العلوم مراحله الخاصة به.

نتوقف هنا على أمل- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة نواصل الكلام عن مراحل نشأة علم التفسير.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **نهى الخشن**

قام بالمراجعة والتدقيق: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط الصياغة، والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثالثة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. فيطيب لي الترحيب بكم في هذه المحاضرة الثالثة من مقرر تاريخ التفسير الذي يقدم ضمن برنامج السعدى، المستوى الأول، بأكاديمية تفسير.

أيها الأخوة الكرام في الحلقتين الماضيتين تكلمنا عن تعريف علم التفسير وأهميته، وحكمه، وأيضا أشرنا إلى معنى المناهج والمؤلفات في علم التفسير، واليوم إن شاء الله سنبدأ الكلام عمّا يتعلق بموضوع:

✓ مراحل نشأة علم التفسيروتطوره

إن الكلام عن هذا الموضوع هو غاية في الأهمية، بل هو في الحقيقة صلب هذا المقرر، فالمقرر يعتني بتاريخ علم التفسير، ونحن إن شاء الله سنتكلم عن نشأة علم التفسير وتطوره، نرصد رصدًا تاريخيًا هذا العلم، من تاريخ ظهوره إلى يومنا هذا.

نحن نعلم أيها الإخوة أن لكل علم من العلوم دورة حياة، فكما للإنسان وللكائن الحيّ دورة حياة، كذلك كل العلوم لها دورة حياة تبدأ من تاريخ ظهور ذلك العلم ونشأته، ثم ازدهاره وتطوره، وقد يمر أيضا هذا العلم بمرحلة ركود، ثم يعود أيضا إلى مرحلة التطور والازدهار والنهوض مرةً أخرى، كل العلوم أيضا إما أن تكون علوم قد نضجت واستوت على سوقها وتحررت مسائلها، وبعضها قد لا يزال في مرحلة النضج، ولم يكتمل ذلك. إلى هذا المعنى يشير **الزركشي** - رحمه الله - في بداية كتابه ***المنثور في القواعد الفقهية*** - نقلا عن بعض المشائخ – يقول: "فائدة : كان بعض المشائخ يقول العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق، وهو علم الأصول والنحو، وعلم لا نضج ولا احترق، وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق، وهو علم الفقه والحديث". وهذه الأمثلة التي ضربها الإمام الزركشي - رحمه الله - قد تكون محل نظر، وإنما المقصود الإشارة فقط إلى أن العلوم تمر بمراحل متنوعة في تطورها وازدهارها، وليست كلها على طريقة واحدة، أو على أسلوب واحد، أو على تاريخ واحد تمر به. كذلك علم التفسير هو من هذه العلوم التي مرت بمراحل من التطور والنشأة، على ما سيأتي بيانه بإذن الله عز وجل.

سنتكلم في مراحل علم التفسير، ونشأته، وتطوره، على مراحل متنوعة، سنذكر في كل مرحلة بداية هذه المرحلة ونهايتها وخصائص كل مرحلة من هذه المراحل، ينبغي أيضا - ونحن نذكر هذه التقاسيم لمراحل نشأة علم التفسير- أن نشير إلى أن هذه التقاسيم أمر **اجتهادي**، قد يختلف في نظر الباحثين، وأهل العلم والدارسين، فقد يضع أحد

الباحثين والدارسين أقسامًا ومراحلًا لهذا العلم، ويأتي غيره فيزيد عليها، أو ينقص منها، أو ربما يعارضه فيها كلها، فهي ليست أمور توقيفية، إنما أمور اجتهادية مبنية على استقراء تاريخ علم التفسير.

✓ لماذا تعتبر مراحل نشأة علم التفسير وتطوره هي أمور اجتهادية وليست أموراً توقيفية؟

لأن العلم يتداخل بعضه ببعض، والتاريخ الحضاري والتاريخ الإنساني ليس حديًا، يعني له بداية وانتهاء، فكل مرحلة من مراحله تدخل في المرحلة السابقة لها وتؤثر في المرحلة التالية لها، فهي ليست مولودة فجأة ومباشرة، بل هي تنشأ شيئاً فشيئًا. كذلك أيضا من نافلة القول - ونحن سنتكلم عن مراحل نشأة علم التفسير وتطوره - أن هذا التقسيم وهذه المراحل التي سنذكرها هي خاصة بعلم التفسير، بمعنى أنه لا يلزم أن تكون هذه المراحل التي ذكرناها أو سنذكرها تنطبق على غيره من العلوم: على علم العقيدة، أوعلم الفقه، أو غيره من العلوم الإنسانية الأخرى، بل كل علم من تلك العلوم له مراحل، نعم قد تشترك في تاريخ بعض هذه المراحل، لكن لا يلزم أن تكون في كل مراحلها متشابهة، أو مماثلة لغيرها.

✓ مراحل نشأة علم التفسير وتطوره

بالنظر في التدوين في علم التفسير والتاريخ الذي مر به هذا العلم، يمكن أن نقسم علم التفسير من حيث نشأته وتطوره إلى عدد من المراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة النشأة والظهور، وهذا أمر طبيعي، فكل علم لابد أن تكون مرحلته الأولى هي نشأته وظهوره، وتبدأ هذه المرحلة من ظهور هذا العلم إلى نهاية القرن الثاني الهجري، أو أواسط القرن الثاني الهجري، وهي على هذا التاريخ الزمني تشمل: عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - ،وعصر الصحابة - رضي الله عنهم-، وأيضا يدخل في جزء منها عصر التابعين. إذًا مرحلة النشأة والظهور تشمل: عهد النبوة، وعهد الصحابة، وأوائل عهد التابعين. سنتكلم عن هذه العصور الثلاثة: عصر النبوة، وعصر الصحابة، وعصر التابعين، وسنبين خصائصها ومميزاتها، وأبرز المصادر التي نرجع إليها إذا أردنا أن نأخذ التفسير من هذه المرحلة.

في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم -:

نحن نعلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت مهمته تبليغ القرآن الكريم، وعليه، فيبدأ نشأة هذا العلم وظهوره من أول آية نزلت من كتاب الله من قوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [سورة العلق:1] هذه الآية في أول نزولها يبدأ معها نشأة وظهور علم التفسير.

لماذا نقول ذلك؟ لأن مهمته - عليه الصلاة والسلام - هي تبليغ القرآن، تبليغ لفظه ومعناه، وابتدأ التبليغ بأول نزول آية من القرآن الكريم، فهو لما نزلت هذه الآية الكريمة بلَّغ لفظها، وبلغ معناها، يعني هذه طبيعة مهمة النبي

- عليه الصلاة والسلام - ولهذا يقول الله عز وجل لنبيه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة العنكبوت: 45]، ويقول عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل 44]

فبنزول القرآن الكريم، بل بنزول أول آيات منه، ظهر علم التفسير. وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم – يبين للناس لفظ القرآن ومعناه، وكان - عليه الصلاة والسلام - حريصًا، غاية الحرص، في إبلاغ القرآن للناس أجمعين، وكان حريصًا على أن يؤديه كما تلقاه من جبريل - عليه السلام -. ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعاني وهو يتلقى الوحي من جبريل - عليه السلام -، فقد كان - النبي صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه جبريل، ويلقي عليه الآيات كان يردد الآيات مع نفسه حتى لا ينساها؛ كما يفعل أحدنا إذا ألقي عليه كلام، وهو يريد أن يتذكر هذا الكلام ولا ينسى، يبدأ يردده والانسان يتكلم، فكان يعاني من ذلك معاناه شديدة، ولهذا قال الله عز وجل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [سورة القيامة: 16 - 19] ، يقول له ربه عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به؛ مخافة أن يفوتك شيء منه، فإننا سنجمعه في قلبك فلا تنسى، ولكن إذا قرأ جبريل فاستمع له، حتى إذا انتهى من تلاوته فإننا سنجمعه في صدرك، وتقرأه وتبينه للناس، ولا تنسى شيئا منه.

والصحابة - رضي الله عنهم - قد كانوا عربًا أقحاحًا، نزل القرآن بلسانهم، ولهذا كانوا يفهمون القرآن بمجرد سليقتهم، بمجرد لسانهم، وما كانوا يرجعون إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في شيء من القرآن إلا فيما أشكل عليهم أو لم يظهر لهم معناه، وإلا فالقرآن كما قال الله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [سورة الشعراء: 19] فهو نزل بلغتهم، ولذلك هم بمقتضى لغتهم ولسانهم وسليقتهم يفهمون كلام الله عز وجل.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يشتغل الصحابة - رضي الله عنهم - بتعلم القرآن؛ حفظا، وتلاوة، وفهما، ومدارسة، وعملا، وتطبيقا له، بل كان عليه الصلاة والسلام يبث فيهم روح الحماسة لتعلم القرآن الكريم، وحفظه ومدارسته، بل ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يجعل المقياس المعيار في من يُقَدِمُ من الصحابة؛ ليس نسبه، ولا سنه، ولا ذكاءه وفطنته، أبدا بل كان في الغالب المقياس والمعيار هو أكثرهم أخذا للقرآن الكريم، فمن كان أكثرهم أخذا للقرآن جعله أميراً على السرية التي يبعثها عليه الصلاة والسلام، ومن كان أكثرهم للقرآن قدَّمه للصلاة بالناس، بل من كان أكثرهم للقرآن قدَّمه أثناء دفنه عند موتهم. وأكثر من هذا، كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى أن يكتب عنه شيء غير القرآن، يقول عليه الصلاة والسلام: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غيرَ القرآن فليمْحُه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار"، الحديث في صحيح مسلم.

لماذا؟ لقد أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكون تركيز الصحابة - رضي الله عنهم - منصباً ومقتصراً على تلقي القرآن وعلى تلقي لفظه، على تلقي معناه، على العمل به وتبليغه للناس؛ ولذلك لم يرد أن يزاحم القرآن أي شيء

آخر، ولهذا انعكس هذا التشجيع والحرص من النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصحابة، فقد كان القرآن الكريم شغلهم الشاغل؛ حرصوا على حفظه، مدارسته، وملأ أوقاتهم ليلا ونهارا في تعلمه، وتلاوته، وحفظه.

أبو عبد الرحمن السُلَمي - التابعي المشهور - يحدثنا عن الحالة التي كان عليها الصحابة في تلقي القرآن وتعلمه؛ يقول: حدثنا الذين كانوا يُقرؤننا القرآن كعثمان ابن عفان، وعبدالله بن مسعود، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا العلم والعمل جميعا. إذًا، هذا منهج الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- في تلقي القرآن وأخذه؛ يتعلمون عشر آيات، وفي بعض الروايات أقل من عشر آيات، يتعلمون تلاوتها، ثم يحفظونها، ويتعلمون معناها، وأيضا يعملون بما فيها من الأحكام والأوامر. ويقول ابن مسعود - رضي الله عنه - وهو يؤكد هذا المعنى يقول: "كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ" رواة الطبري. فكان هذا منهج الصحابة، الذي رباهم عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلقي القرآن وأخذه.

✓ كيف كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يبين القرآن ويوضحه؟

نحن قلنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت مهمته الأولى هي بيان القرآن وتوضيحه، فكيف كان عليه الصلاة والسلام يبين القرآن، كيف كان يوضحه للناس. هناك طرق لبيان النبي - عليه الصلاة والسلام – للقرآن الكريم، نحن لا نريد التفصيل في هذه الطرق، والتوسع فيها، ذلك إنكم إن شاء الله ستأخذون مقررا مستقلا يتعلق بأصول التفسير، ستبيَن فيه هذه الطرق بشكل أوسع، ويؤخذ عليها مسائل وتطبيقات متنوعة، وإنما أريد الإلماح والإشارة إليها سريعا؛ لأننا في رصدنا التاريخي لعلم التفسير نريد أن نشير فقط إلى الطرق التي كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يبين القرآن بها، وهي تتلخص في ثلاث طرق:

1. أول هذه الطرق: **البيان القولي لمعاني القرآن الكريم**، وسيأتي معنا إن شاء الله تعالى أمثلة على ذلك، مثل بيانه عليه الصلاة والسلام لمعنى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : 7] مثل بيانه لمعنى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، سيأتي إن شاء الله ضرب أمثلة على ذلك.
2. من أنواع بيانه عليه الصلاة والسلام: **البيان الفعلي**، وهذا قد يغفل عنه بعض الناس، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبين بقوله، ويبين بفعله، مثل ماذا؟ مثل بيانه للحج، مثل بيانه للصوم، مثل بيانه للصلاة، فقد بينها النبي - صلى الله عليه وسلم – بفعله، وقد يكون بيانه الفعلي أكثر من بيانه القولي في مثل هذه الصور.
3. والنوع الثالث من البيان هو: **التقرير**، وهو أن يقرّ النبي صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة على فهمٍ فهمه، أو على عملٍ عمله، أخذه من القرآن الكريم.

✓ البيان القولي لمعاني القرآن الكريم

يأتي بيان النبي صلى الله عليه وسلم القولي مثل بيانه لمعنى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : 7] حيث قال أن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

مثل أيضا: الإشكال الذي وقع من الصحابه في معنى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : 82]، "قال الصحابة: أيّنا يارسول الله لم يظلم نفسه؟" فهم فهموا فهما في معنى الظلم، وهو الظلم بإطلاقه العام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : 13] فأزال الإشكال عنهم وبيّن لهم معنى الآية. أيضا مثل بيان السبع المثاني يقول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه فسر الفاتحة بقوله: "هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".

إذًا بيانه - عليه الصلاة والسلام - للقرآن الكريم إما أن يكون بيانا قوليا بقوله، أو بيانا فعليا بفعله، أو بيانا بتقريره.

يبقى هناك سؤال آخر قد يرد هنا، وهو أن يقال:

✓ هذا البيان النبوي للقرآن الكريم، كيف هو من حيث الظهور والخفاء؟ كيف هو من حيث كونه نصيّا أو غير نصيّ ؟

الحقيقة أن بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - للقرآن باعتبار ظهوره وخفائه يمكن أن يقسم إلى **قسمين:**

1. ما كان ظاهرا بيّنا نصا في معنى الآية، كالأمثلة التي سقناها قبل قليل، مثل: تفسيره للسبع المثاني، ومثل تفسيره للكوثر وما المراد به، ومثل تفسيره للمغضوب عليهم والضالين، فهذا بيان نصيّ في معنى الآية، وهو ظاهر.
2. النوع الآخر من بيانه عليه الصلاة والسلام: بيان ما قد لا يكون ظاهرا، ولا يكون نصا في معنى الآية، بل يحتاج إلى فكر ونظر من العالم أو المفسر حتى يصل إلى استنباط معنى الآية من تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ربط الآية بقول النبي - عليه الصلاة والسلام - أو فعله، أو تقريره. والناس في هذا القسم الثاني يختلفون، وبينهم مراحل ومنازل متفاوتة، بحسب ما يفتح الله به عز وجل على كل أحد منهم.

إذًا بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد يكون بيانا ظاهرا جليا نصا في معنى الآية الكريمة، وقد يكون ذلك البيان بيان غير ظاهر، ولا نص في معنى الآية، بل يختلف الناس في ذلك وفي ربطهم بمعنى الآية الكريمة، ومعنى الحديث النبوي.

المسألة أخرى التي يكثر الحديث عنها والتي تتعلق ببيان النبي - صلى الله عليه وسلم - للقرآن الكريم هي:

✓ **هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم؟ ثم هل فسره كله أم لا؟**

هذه من المسائل التي يكثر الحديث عنها، ويكثر في ذلك نقل كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية يقرر فيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بيّن لفظ القرآن الكريم ومعناه، وحتى أن البعض من الباحثين والدارسين جعل هذه المسألة خلافية بين أهل العلم، وأصبح فيها أقوال؛ القول الأول، والقول الثاني، والقول الثالث، وأدلة القول الأول، وأدلة القول الثاني، وأدلة القول الثالث، ثم المناقشة، ثم الترجيح. ونحن لا نريد أن نخوض في هذا كله حقيقةً، لأن هذا ليس المقصود المقرر، وإنما نريد فقط أن نشير إلى أن الخطأ في تصور هذه المسألة، والزعم أن فيها خلافا أصلا بين أهل العلم، وأن هناك أقوال في هذه المسألة. سنحاول أن نشير إلى هذه المسألة باختصار، وكيف نشأت هذه المسألة، وأيضا تصور حقيقة هذه المسألة، فنحن لا نريد أن نخوض فيها من كل جوانبها، وإنما يعنينا فقط الجانب التاريخي الذي هو محل دراستنا، وسنختصر من أجل ذلك الكلام في نقاط،

عند بحث هذه المسألة يجب أن يستحضر الباحث أن **ألفاظ القرآن الكريم وآياته تنقسم من جهة المخاطبين إلى قسمين:**

القسم الأول منها: **ألفاظ من القرآن الكريم وآياته لا تحتاج إلى بيان وتفسير**، وإنما يفهمها المخاطب بمجرد كونه ناطقا بلغة العرب، بمجرد أنه يتكلم بلغة العرب، وأن هذه اللغه هي لغته يفهم القرآن الكريم، مثل قولك: أقبل ، وهلم ، وذهب ، ورجع ... ونحو ذلك، هذه ألفاظ لا تحتاج إلى بيان وإلى شرح وإلى تفصيل، فبمجرد أنك تتكلم لغة العرب فأنت تفهم هذه الألفاظ، فالعربي بمقتضى كونه عربيا وبمقتضى كونه ناطقا بلغة العرب متكلما بها يفهم معاني آيات القرآن الكريم على هذا النحو، مثل قوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾[الفتح: 29] مثل قوله عز وجل ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36] مثل قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الحج: 66]، معنى محمد، معنى رسول، اعبدوا، لا تشركوا، أحياكم، يميتكم، هذه الألفاظ يفهمها العربي بمقتضى كونه ناطقا بلغة العرب، وعليه؛ مثل هذه الألفاظ والآيات لا تحتاج إلى بيان ولا تحتاج إلى تفسير .

وعلى هذا النوع، جاءت أكثر آيات القرآن الكريم، بل دعونا نقول على سبيل الاحتياط، كثير من آيات القرآن الكريم - إن لم تكن أكثر آيات القرآن الكريم - جاءت على هذا النحو، بمعنى أن العربي بمقتضى كونه عربيا، وبمقتضى كونه متكلما بلسان العرب يفهم هذه الألفاظ. ولهذا لم يُنقل عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه فَسَّر هذه الآيات التي يفهمها العربي بمقتضى كونه عربيا، لا يشكِل على هذا أن العُجمة ظهرت بعد ذلك.

المعنى على الذين نزل عليهم القرآن، هل كانوا عربا أم لا، هل كانوا يفهمون أم لا، هذا هو المهم، ظهور العجمة بعد ذلك بعد الفتوحات الإسلامية، ودخول غير العرب في الإسلام، واختلاطهم بالعرب، وتأثيرهم على لسان العرب؛

حتى ظهرت العجمة فيهم، هذا لا يؤثر على ما نحن بصدده، فقد طرأت العجمة على العرب بعد زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وزمن الصحابة، حتى نحن اليوم يشكل علينا بعض الألفاظ التي يفهمها العرب، حتى عوام العرب؛ لأن العجمة دخلت على لسانهم، فهذا غير مؤثر.

القسم الثاني سنتكلم عنه إن شاء الله عز وجل في المحاضرة القادمة.

هذا والله أعلم، وصلى الله على وسلم وبارك على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**
قام بالمراجعة والتدقيق: **أخت في الله**
الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط الصياغة، والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد، يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الرابعة من مقرر تاريخ التفسير، الذي يقدم ضمن برنامج السعدي المستوى الأول.

أيها الأخوة الكرام، كنا في المحاضرة الماضية تكلمنا عن نشأة علم التفسير، وتكلمنا عن أول مرحلة في هذا العلم؛ وهي مرحلة الظهور والنشأة، وأشرنا إلى أن مرحلة ظهور هذا العلم تبدأ من تاريخ ظهور هذا العلم إلى أواسط القرن الثاني الهجري، بمعنى أنها تشمل عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعصر الصحابة، وأوائل عصر التابعين، تكلمنا عن التفسير النبوي، وذكرنا أوجه بيان النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن. وانتهى بنا الحديث إلى مسألة يكثر فيها الكلام؛ وهي:

✓ هل فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن كله أم لا؟

أشرنا في بدء كلامنا إلى أن يستحضر الباحث أو المتكلم في هذه المسألة أن **ألفاظ القرآن الكريم من حيث كونها بينة أو لا، أي: من حيث فهم المخاطب لها تنقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: قسم من آيات القرآن الكريم يفهمه المخاطب بمجرد كونه متكلمًا باللغة العربية

وذكرنا أن غالب القرآن الكريم على هذا القسم. وإذا كان غالب القرآن الكريم على هذا النحو، فمعناها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يفسر هذه الآيات التي يفهمها الإنسان بمقتضى كونه متكلما بلسانه، ولا يمكن أن يتصور أن أحدا من أهل العلم يقول أن النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر هذه الآيات التي يفهمها الإنسان بلغته العربية، ولا حتى عن الصحابة، فلم يُنقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه فسر آيات تفهم بمجرد لسان العرب، ولم يُنقل عن الصحابة ذلك، لأن الاشتغال بتفسير الشيء الذي يفهمه الإنسان بمجرد لغته هذا من العيّ ومن السفه الذي يُجَلّ عنه مقام النبوة.

وينبغي الإشارة إلى أنه من نافلة القول أن من تكلم في هذه المسألة كابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم، فهم قطعًا لم يقصدوا في بحثهم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسر هذا النوع من الألفاظ والتراكيب أو الآيات، وإذا سلمنا بهذا فعلا، بأن كثيرا من القرآن نزل بلغة العرب، وأن كثيرا من القرآن يفهمه الإنسان بمجرد كونه متكلما بلغة العرب، سيخرج من بحثنا كثير من آيات القرآن الكريم التي لا تحتاج إلى تفسير، والتي لم يفسرها النبي -صلى الله عليه وسلم-، لماذا لم يفسرها؟ لأنها أصلا لا تحتاج إلى تفسير، بمجرد كون الإنسان متكلما بلغة العرب يفهم معنى الآية. هذا هو القسم الأول الذي تكلمنا عنه.

القسم الثانى: قسم من القرآن الكريم لا يفهمه العربى بمجرد لغته وسليقته اللغوية

بعبارة أدق لا يفهم المراد منه، وإن فهم معنى اللفظ في ذاته، ولكن ما مراد الله -عز وجل- به هذا الذى لا يفهمه، ولعل الأمثلة توضح ذلك؛ مثلا العربى يفهم معنى الصلاة، يفهم معنى الزكاة، يفهم معنى الحج، بمقتضى كونه متكلما باللغة العربية، لكنه لا يفهم ما الذى يريده الله -عز وجل- بالصلاة؟ ما الذى يريده الله -عز وجل- بالحج؟ والصلاة؟ الصلاة يعرف أن معناها الدعاء، الزكاة يعرف أن معناها الطهارة والنماء، الحج يعرف أن معناها القصد، لكن ما معنى الدعاء هنا؟ ما المراد به؟ ما المراد بالطهارة والنماء؟ ما المراد بالقصد هنا؟ ما الذى يريده الله -عز وجل- بذلك؟ هذا الذى لا يفهمه العربى، حتى وإن كان متكلما بلغة العرب، ومثله الآيات التي تتكلم عن الجنة والنار، والصراط المنصوب على متن جهنم، والميزان، كل هذه الأشياء، كل هذه الألفاظ من حيث أنها لفظ يفهم معناها، لكن ما هي حقائقها، ما المراد بها؟ هذا الذى لا يفهمه العربى بمجرد مقتضى لسانه.

آيات القرآن الكريم التي لايفهمها العربى بمجرد لغته وسليقته اللغوية، يمكن أن تُقَسَّم باعتبار حاجة المكلف إلى فهمها حتى يمتثل أمر الله، إلى قسمين:

القسم الأول: آيات أُلزم المكلف بالعمل بها، من تكاليف الشريعة وواجباتها، فنوع منها يتعلق بالحلال والحرام، فالمكلف هنا محتاج إلى فهم مقصود الشارع، إلى فهم مراد الله -عز وجل- بهذه الآيات حتى يمتثل ما كلف به، فهو إذًا بحاجة إلى أن يفهم معنى الآية حتى يمتثل ما كُلف به، ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لابد أن يفهم معنى ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ حتى يصلى، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ لابد أن يفهم معنى الزكاة حتى يزكى، وهكذا باقى الآيات المتعلقة بما كلف به العبد.

هذا النوع من الآيات التي لا يَفهم المراد بها المخاطبُ بمجرد كونه يتكلم اللغة العربية، وهى أيضا مما يحتاجه حتى يمتثل أمر الله -عز وجل-، **هذا القسم، النبى -صلى الله عليه وسلم- بيّنه كاملا، وفسره كاملا، ووضحه كاملا**، هذا قد بينه النبى -صلى الله عليه وسلم- أتمَّ بيان وأكمل بيان، وهذا مقتضى كونه رسول وكونه مبلِّغ عن الله -عز وجل-، وهذا معنى قوله -عز وجل-: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44] ومعنى قوله -عز وجل-: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 64]. هذا النوع الذى يحتاجه المكلف لإمتثال أوامر الله -عز وجل- لم يختلف أهل العلم أن النبى -عليه الصلاة والسلام- بيَّنه ووضحه للناس، لا يوجد خلاف بين أهل العلم أبدًا في هذا الأمر، بإجماع أهل العلم، بإجماع الأمة، أن النبى -عليه الصلاة والسلام- بيَّن للناس كل ما يحتاجونه لإمتثال أوامر الله -عز وجل- مما أمرهم به في كتابه، هذا لا يختلف فيه أهل العلم.

لكن قد يقع الاستشكال أو الخلاف في كيفية بيان النبى -عليه الصلاة والسلام- لهذا النوع من آيات القرآن الكريم، وقد يظن بعض الناس أن البيان يقتصر على البيان الصريح، البيان اللفظى، وهذا الأمر يناقض الواقع الذى كان

عليه النبى -عليه الصلاة والسلام-، وقد قررنا ذلك في الحلقة الماضية، وهو أن النبى -صلى الله عليه وسلم- كان يبين بقوله بيانا لفظيا، وبيانا فعليا، وحتى تقريرا. فسنته عليه الصلاة والسلام شاملة لقوله وفعله وتقريره، كلها من جملة ما يحصل بها بيان القرآن الكريم.

من أمثلة البيان اللفظي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: مثلا ثبت عن النبى -صلى الله عليه وسلم- ما يندرج ضمن البيان اللفظى ما رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه: أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قرأ سورة الكوثر ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: نهر وعدنيه ربى -عز وجل-، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: ربى إنه من أمتى! فيقول الله -عز وجل-: ما تدرى؟ ما أحدثت بعدك؟". فالنبى -صلى الله عليه وسلم- فسر المراد بالكوثر، وأنه نهر وعده الله -عز وجل- به بالجنة، فهذا بيان قولى لفظى منه عليه الصلاة والسلام.

من أمثلة البيان العملى الفعلى من النبي -صلى الله عليه وسلم-: ما جاء في بيان معنى الحج، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-: "خذوا عنى مناسككم"، ثم حج عليه الصلاة والسلام، وتلقت الأمة حجته الفعلية ونقلتها إلينا وبه فهمنا أمر الله -عز وجل- لنا بالحج، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "صلوا كما رأيتمونى أصلى". فقد نقل إلينا صفة صلاته عليه الصلاة والسلام، وما يستتبع هذه الصلاة من الطهارة ونحوها، وذلك كله بيان لمعنى ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. والحقيقة أن هذا النوع من التفسير النبوى والعمل به (أعني به البيان العملي) واسع وكبير، هو مجال للدراسة، ومجال للبحث فيه، ومجال للتوسع في استنباطه، وضرب الأمثلة عليه وصوره التي تندرج ضمنه.

إذن، النوع الأول -قلنا- ما يحتاجه المكلف لامتثال أوامر الله، وهذا النوع لا شك أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قد وضحه وبيَّنه وفسره للأمة كلها، كل ما كان في القرآن الكريم من أوامر ونواهى خوطب بها المكلف، فقد بيَّنها النبى عليه الصلاة والسلام، بإجماع الأمة، لا شك في ذلك.

القسم الثاني: آيات في القرآن الكريم لا يفهم العربي معناها، وهي لا تتعلق بما كُلِّف به، يعني، لا يحتاجها المكلَّف حتى يمتثل ما أمر الله-عزوجل- به، وهذا القسم له أمثلة كثيرة مثل: الأمور الغيبية، ومثل ما ذكر في صفة الجنة والنار، صفة الصراط، الميزان، وبعض الحوادث التي تقع مستقبلا أو وقعت قبل ذلك، كأسماء أصحاب الكهف، عددهم، اسم كلبهم، كما يندرج ضمن ذلك بعض الإشارات الكونية التي وردت في القرآن الكريم في بعض الآيات مما أظهره العلم الحديث. فعلم المكلف بهذه الآيات ومعانيها لا يتعلق به حلال أو حرام، لا يتعلق به تكليف، لا يتعلق به جزاء أو حساب، نعم، فهمه لها يزيد من إيمانه، لكن لا يتعلق به تكليف، بمعنى أن الله -عز وجل- لا يسأله يوم القيامة لماذا لم يفهم هذه اللآية، ولماذا لَم يستنبط معناها أو لم يدرس معناها، لأنه لا يتعلق بها تكليف أو ثواب أو عقاب.

هذا النوع بعضه لم يُنقل عن النبى -صلى الله عليه وسلم- تفسيره أو بيانه، بل تُرك لفهم واستنباط أهل العلم الراسخين فيه. والحقيقة أن هذا من ضمن ما جعل القرآن الكريم آيةً معجزةً إلى قيام الساعة.

وأحسب أننا إذا تتبعنا كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله، في كتبه ومؤلفاته، وهو الذى اشتُهِر عنه الكلام في هذه المسألة؛ هل النبى -صلى الله عليه وسلم- فسر القرآن كله؟ إذا تتبعنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لم يشق علينا أن نرى ابن تيمية يقرر أن النبى -صلى الله عليه وسلم- سكت عن بيان بعض هذه المغيبات. بل مما يؤكد ذلك أنه جعل من طرق بيان القرآن الكريم بعد الرجوع إلى القرآن والرجوع إلى السنة؛ الرجوع إلى الصحابة -رضى الله تعالى عنهم- والتابعين. وهذا يدل على أنه فعلا يعتقد أن هناك آيات من القرآن الكريم لم يبينها ويفسرها النبى -صلى الله عليه وسلم-، ولو كان النبى -صلى الله عليه وسلم- قد بيَّنَهَا ونص عليها فما الحاجة إلى الرجوع إلى الصحابة والتابعين. استمعوا إلى قول ابن تيمية وهو يقول في مقدمته المشهورة وهو يذكر طرق التفسير: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة"، استمعوا: "إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة" فهو يقينًا لم يرد أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قد فسر كل ألفاظ القرآن الكريم، وإلا فما الحاجة إلى الرجوع إلى الصحابة عندئذٍ، قال: "فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين" انتهى كلامه. إذن، هو يقول أنه إذا لم تجد في القرآن ولا في السنة ارجع إلى الصحابة الذين أخذوا عن النبى -عليه الصلاة والسلام-، وهذا يدل أنه لا يرى أن النبى -صلى الله عليه وسلم- فسر كل ألفاظ القرآن الكريم.

هذه إلماحة سريعة لمسألة هل فسر النبى -صلى الله عليه وسلم- القرآن كله أم لا.

✓ كيف نستطيع الوصول إلى التفسير النبوى؟

ننتقل إلى مسألة أخرى وهي: كيف نستطيع الوصول إلى التفسير النبوى؟ أو ما هي طرقنا للوصول إلى التفسير النبوى؟ فنقول: **التفسير النبوى ليس له طريق إلا طريق الرواية عن النبى -عليه الصلاة والسلام-.**

✓ ما المصادر التي نرجع إليها حتى نصل إلى الروايات عن النبى -عليه الصلاة والسلام-؟

أما المصادر التي نرجع إليها حتى نصل إلى الروايات عن النبى -عليه الصلاة والسلام- فهى متنوعة، منها :

1. **دواوين أهل الإسلام** التي حفظت سنة النبى -صلى الله عليه وسلم-، وأعظمها فيما يتعلق بالتفسير: تفسير الطبرى، تفسير الصنعانى، مصنف عبد الرزاق، الدر المنثور، تفسير ابن أبى حاتم، وسواها مما حفظت لنا سنة النبى -صلى الله عليه وسلم-.

2. من المصادر التي نعتمدها في معرفة التفسير النبوى: **أقوال الصحابة** الذين اعتمدوا في تفسيرهم وفهمهم على ما ورد عن النبى -عليه الصلاة والسلام-، فكثير من تفسير الصحابة الحقيقة مأخوذ عن النبى عليه الصلاة والسلام.
3. المصدر الثالث الذى نأخذ منه التفسير النبوى: **أقوال التابعين**، الذين اعتمدوا في تفسيرهم وفهمهم على ما ورد عن النبى -عليه الصلاة والسلام-.
4. من المصادر التي نستقى منها التفسير النبوى: **أقوال المفسرين**، فبعض المفسرين اعتنى بالمرويات عن النبى -عليه الصلاة والسلام- في التفسير، وهم في ذلك يختلفون، فمنهم من له عناية ظاهرة، ومن ليس له عناية بذلك، فمنازلهم تختلف.
5. كذلك، **جهود العلماء غير المفسرين**، هناك بعض العلماء غير المفسرين من ليس لهم تفاسير، لكن لهم مؤلفات أخرى اعتنوا فيها بنقل بعض أقوال النبى -صلى الله عليه وسلم- ومروياته في التفسير.

هذه المصادر الخمسة كلها نستطيع أن نتلقى منها المروى عن النبى -صلى الله عليه وسلم- في تفسير القرآن الكريم.
إذن، هذا مايتعلق بالتفسير النبوى، وذكرنا فيه حقيقة التفسير النبوى وأقسامه وأنواعه، كذلك أشرنا إلى مسألة تفسير النبى -عليه الصلاة والسلام- للقرآن وأصل هذه المسألة، أشرنا أيضا إلى المصادر التي نعتمد عليها حينما نريد أن نأخذ من تفسير النبى -عليه الصلاة والسلام-، وأن هذه المصادر خمسة: إما دواوين أهل الإسلام التي حفظت سنة النبى -صلى الله عليه وسلم-، أو أقوال الصحابة التي اعتمدوا فيها على تفسير النبى -صلى الله عليه وسلم-، أو أقوال التابعين أيضا الذين اعتمدوا فيها على تفسير النبى، أو أقوال المفسرين الذين اعتنوا بنقل سنة النبى عليه الصلاة والسلام، جهود العلماء أيضا غير المفسرين، هناك بعض الأقوال والروايات التي لا نجدها في كتب التفسير وإنما نجدها عند بعض العلماء مبثوثة في مؤلفاتهم في المصادر المتنوعة.
هذا والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله**
قام بالمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط الصياغة، والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين. أما بعد، فأرحب بكم في هذه الحلقة أو المحاضرة الخامسة من محاضرات مقرر تاريخ التفسير والتي تقدم ضمن مقررات برنامج السعدي المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

كنا أيها الأخوة في المحاضرة الماضية قد تكلمنا عن تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأشرنا إلى مكانة تفسيره -صلى الله عليه وسلم-، وأبرز المصادر التي يمكن أن نقف عليها إذا أردنا أخذ تفسيره عليه الصلاة والسلام. ونحن أول ما تكلمنا عن المرحلة الأولى هي مرحلة نشأة وظهور علم التفسير، ذكرنا أنها تشتمل على عصر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعصر الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- والتابعين. وفي هذه المحاضرة بإذن الله -عز وجل- سنبدأ الكلام عن:

✓ التفسير في عصر الصحابة وعصر التابعين

مرحلة التفسير في عصر الصحابة والتابعين هي من أهم المراحل التي ينبغي دراستها لمن يريد الوقوف على تاريخ علم التفسير وتطوره لأنها مرحلة غاية في الأهمية، بل هي الركن الركين الذي قام عليه بناء التفسير فيما بعد ذلك؛ بل نستطيع أن نقول إن دواوين التفسير ومؤلفات أهل العلم في تفسير كلام الله -عز وجل- في أصلها تقوم على هذا المروي عن الصحابة والتابعين، ومن قبلِهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. ولعلنا في آخر كلامنا عن هذه المرحلة سنشير إلى مكانة التفسير في هذه المرحلة بما تشمله من عصر النبي والصحابة والتابعين. وكلامنا اليوم هو عن التفسير في مرحلة الصحابة والتابعين.

نحن نعلم أن الله -عز وجل- لما فتح البلاد على المسلمين في عصر الصحابة كانوا -رضي الله عنهم- مشاعل وهداية فانتشروا في تلك الأمصار المفتوحة في بلاد الشام والعراق وقد حملوا العلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأرادوا تبليغه للناس، فاشتغلوا بتعليم الناس كلام ربهم -عز وجل- تلاوةً، وتحفيظاً له، وتدريساً، وبياناً لمعانيه.

والناس قد أقبلوا على كلام الله -عز وجل- تعلماً وأخذاً عن هؤلاء الصحابة الذين لقوا النبي -صلى الله عليه وسلم؛ لأن لهؤلاء الصحابة مزية ليست لأحد بعدهم أبدًا، وهي أنهم لقوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فضلاً عن أنهم أهل اللسان وأهل اللغة التي نزل عليها القرآن الكريم، فالناس دارسوا الصحابة وأخذوا عنهم، وتلقوا عنهم.

وهؤلاء الصحابة الذين كان الناس يرجعون إليهم ويأخذون عنهم، هم يختلفون في منازلهم، وفي أقدارهم، وفي عنايتهم بتفسير كلام الله -عز وجل-، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر اختلاف الصحابة -رضي الله عنهم- في هذا الشأن، ويشير إلى هذا الأمر الحديث الحسن الصحيح الذي رواه أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي :أبو بكرٍ ، وأَشَدُّهُمْ في أَمْرِ اللهِ : عمرُ ، وأَصْدَقُهُمْ حَياءً : عثمانُ ، وأَقْرَؤُهُمْ لِكتابِ اللهِ : أُبَيُّ بْنُ كعبٍ ، وأَفْرَضُهُمْ : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وأعلمُهُمْ بِالحَلالِ والحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، ألا وإِنَّ لِكلّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وإِنَّ أَمِينَ هذه الأُمَّةِ : أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ" (سنن الترمذي). فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يشير في هذا الحديث إلى اختلاف منازل الصحابة، وأماكنهم، وأقدارهم، فبعضهم قد برّز في جانب، والآخر يبرّز في جانب آخر، فهذا في الحلال والحرام وهذا في الفرائض، وهذا في القرآن، وفي هذا إشارة إلى اختلاف الصحابة واختلاف أقدارهم، هناك عدد من الصحابة برز شأنهم ومكانتهم في تفسير كلام الله -عز وجل-.

**** المفسرون من الصحابة:**

((عدّ السيوطي -رحمه الله- من اشتهر بالتفسير من الصحابة وسماهم وهم:
الخلفاء الراشدون الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-. وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء مثل: أنس ابن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة، غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جداً ولم يكن لهم من الشهرة بالقول في القرآن ما كان للعشرة المذكورين أولا. كما أن العشرى الذين اشتهروا بالتفسير تفاوتوا قلة وكثرة، فأبو بكر وعمر وعثمان لم يردعنهم في التفسير إلا النذر اليسير، ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم وفاتهم واشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات. أما علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير، والسبب في ذلك راجع إلى تفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة دامت إلى نهاية خلافة عثمان -رضي الله عنه-.
ولو رتبنا **أكثر الصحابة رواية للتفسير** لكان في مقدمتهم:
عبد الله بن عباس، ثم عبد الله بن مسعود، ثم علي بن أبي طالب، ثم أبي بن كعب -رضي الله تعالى عنهم أجمعين)).
(ملحوظة: هذه الفقرة ليست من كلام المحاضر).

1. علي بن أبي طالب

علي بن أبي طالب كان أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير ، كما جاء في دواوين التفسير، فإذا اطلعنا عليها سنجد أن علي بن أبي طالب كان أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير. يروي أبو الطفيل أنه قال : شهدت عليًا يخطب في الناس وهو يقول: "سلوني عما تشاؤون سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم،

وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل". وقول علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- هذا الكلام، وطلبه من الناس أن يسألوه هو لأمرٌ مشروع؛ لأن مقصد الصحابة -رضي الله عنهم-، وسيأتي معنا روايات أخرى من الصحابة، تدل على أنهم كانوا يخبرون الناس بمنزلتهم في العلم، بمنزلتهم فيما يروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن مقصدهم كان أن يبينوا للناس ما أخذوه من علم عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وما تحمَّلوه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى يبلغوه لهم، مثل ما قال الله -عز وجل- حاكياً عن يوسف -عليه السلام-: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُفَ : 55].

فإذا كان مقصد الإنسان من بيان العلم الذي يحمله أن يدعو الإنسان إلى أخذ العلم عنه، وإلى تحمله، وإلى إعانته على نقل العلم الذي وصل إليه، كحال الصحابة، فلا بأس بذلك، بل **عبد الله بن مسعود** -رضي الله عنه- وهو من أكثر من روي عنه في التفسير، بل أكثر من علي بن أبي طالب، أخرج عنه ابن جرير الطبري وغيره أنه قال: "والذي لا إله غيره ما نزلت آية إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغه المطايا –يعني الرواحل مثل الإبل وغيرها- لأتيته".

2. عبد الله بن عباس

عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما- هو ترجمان القرآن، وهو حبر الأمة، ببركة دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- له، فإنه -عليه الصلاة والسلام- دعا له فقال: "اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ"، ولهذا كان **عبد الله بن عباس بإطلاق هو أكثر الصحابة رواية في التفسير**، لا يُشقُّ له في ذلك غبار. ولعل مما بلغ به هذه المنزلة العظيمة في تفسير كلام الله -عز وجل- حتى صار مرجعًا للناس، هو بركة دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- كما تقدم معنا حتى صار مرجعاً للناس بعد وفاة غالب الصحابة -رضي الله عنهم. وقد لقي ابن عباس -رضي الله عنه- الصحابة وعاش بينهم وهو صغير في السن لذلك أخذ عنهم وتلقى عنهم حتى إذا مات الصحابة ولم يبق أحد منهم، لم يبق إلا ابن عباس، فكان مرجعاً للناس لأنه من آخر الصحابة وفاةً، ولهذا تلقى الناس عنه تفسير كلام الله -عز وجل-.

ومن الطريف هنا أن نذكر حادثة أشار إليها هو -رضي الله عنه- عن نفسه -رضي الله عنه- وتشير إلى نباهته وذكائه على صغر سنه يقول: "إني كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ لأن الصحابة كانوا في وقته موفورون، فكان يأتي ليسأل ثلاثين شخصاً من الصحابة عن مسألة واحدة.

ومن أبلغ الصور الدالة على نباهته وفطنته وذكائه: عن ابن عباس قال : "لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار :هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير . فقال : يا عجبا لك يا بن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فترك ذلك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي

بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب –يعني تعرف أن الريح قد يأتي فيحمل التراب فيسفه عليه – ، فيخرج فيراني فيقول : يا بن عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك . قال : فأسأله عن الحديث . قال: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألوني، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني".

وكان ابن عباس حين أتاه ذلك الفتى من الأنصار لم يجاوز الخامسة عشر حينها، وهذا سبب تعجب الأنصاري لقول ابن عباس في ذلك الوقت، لكن ابن عباس كان ينظر إلى أبعد من ذلك. كان ينظر إلى أن هؤلاء الصحابة مهما طال بهم الزمن، فلن يعمروا في هذه الدنيا، وهم لن يظلوا صغاراً بل سيكبروا بعد ذلك وسيأتي الناس إليهم وسيرجعون إليهم.

حصّل ابن عباس علمًا عظيماً، صحيح أنه أكثر الصحابة رواية في التفسير لكن غالب أقواله وآرائه ورواياته في التفسير أخذها عن هؤلاء الصحابة الكرام.

قال عنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: "كان ابن عباس قد فات الناس بخصال؛ بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب، ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى، ولا أثبت رأيا فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب، وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علما "، يوماً للتأويل: يعني التفسير، ويوماً للمغازي: يعني الأخبار والسِيَر.

ومن طريف الأخبار أيضًا ما يرويه الطبري في تفسيره عن سعيد ابن جبير قال: "قال يهودي بالكوفة -وأنا أتجهز للحج- إني أراك رجلاً تتبع العلم فأخبرني أي الأجلين قضى موسى؟ - في قول الله -عز وجل-: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [الْقَصَصِ : 28] - قلت لا أعلم، وأنا الآن قادم على حبر العرب -يعني ابن عباس رضي الله عنهما- فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف - لأن النبي يفعل أطيب الأمور وأكثرها خيرًا، وأعظمها برًا ووفاءً، فإذا خُيِّر بين أن يقضي ثمان سنين أو عشر سنين فسيقضي العشر، تلك أخلاق النبوة -، قال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال: صَدَقَ وما أنزل على موسى صدق، - وهو يحلف بالذي أنزل على موسى، يعني التوراة - والله أعلم". وهذا الفهم استنبطه ابن عباس استنباطًا.

هذا الحرص الشديد من الصحابة على تعلم الناس وعلى تعليم الناس العلم، وعلى بثه وعلى نشره، بل وانتقالهم من المدينة وتفرقهم في الأمصار لتعليم الناس كلام الله -عز وجل- وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- جعلت

الحواضر الإسلامية المشهورة كمكة والمدينة والشام والكوفة، جعلت هذه الحواضر الإسلامية عواصم ثقافية زاخرة بالعلم فيها حركة علمية ضخمة في تلك المدن يفد إليها الطلاب من كل مكان وتعقد فيها حلقات العلم وجلساته، ومن أشهر تلك الحواضر الإسلامية والمدن التي كانت مركزًا علميًا يفد إليه الناس لتعلم العلم وأخذه وتلقيه، مكة، لا سيما في التفسير. فمكة كانت من أشهر تلك الحواضر، وسبب ذلك هو وجود ابن عباس -رضي الله عنهما- في مكة، فكان على رأس تلك المدرسة، أو بعبارة أدق كان هو المعلم الأول في مكة المكرمة، يأخذ الناس عنه العلم ويتلقونه عنه. ولهذا قال ابن تيمية فيما قال أن أعلم الناس بالتفسير أهل مكة وسبب ذلك وجود ابن عباس -رضي الله عنه- فيها.

وقد اشتهر طلابه الذين أخذوا عنه وتلقوا العلم منه بالتفسير أيضًا فكانوا مقدمين وبارزين فيه؛ مثل: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان، وعطاء، هؤلاء أخذوا العلم عن ابن عباس وهم أيضًا كانوا من أشهر السلف عناية بالتفسير، وأكثر هؤلاء التابعين عناية بالتفسير **مجاهد**، ومجاهد -رضي الله عنه- ورحمه هو أشهر من يُروى عنه التفسير من التابعين، له قرابة ستة الآلاف رواية في التفسير، فيمكن أن نقول أن مجاهد أكثر من له روايات في التفسير بإطلاق من الصحابة والتابعين، هذا في مكة.

3. أُبَيّ ابن كعب

في المدينة، وهي من الحواضر الإسلامية وعواصمه الكبيرة، كان هناك عدد من الصحابة الذين لم يخرجوا منها وإنما بقوا فيها، من أشهرهم **أُبَيّ ابن كعب**، وأبي بن كعب له مكانته ويكفي في ذلك ثناء النبي -صلى الله عليه وسلم- على أبي بن كعب حينما قال: "استَقْرِؤا القرآنَ من أربعةٍ :من ابنِ مسعودٍ ، وسالمٍ ، مولى أبي حذيفةَ ، وأُبيّ بنِ كعبٍ ، ومعاذِ بنِ جبلٍ"، والحديث في صحيح مسلم، فهذه وصية النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي شهادة لهؤلاء الأربعة ومنهم أبي بن كعب.

وقد مرَّ معنا قبل قليل حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذكر فضائل الصحابة ومكانتهم وأبرز ما عُرفوا به، فهو يقول مثلاً: "أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي :أبو بكرٍ ، وأَشَدُّهُمْ في أَمْرِ اللهِ : عمرُ ، وأَصْدَقُهُمْ حَياءً : عثمانُ ، وأَقْرَؤُهُمْ لِكتابِ اللهِ : أُبَيُّ بْنُ كعبٍ ، وأَفْرَضُهُمْ : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وأعلمُهُمْ بِالحَلالِ والحَرَامِ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، ألا وإِنَّ لِكلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وإِنَّ أَمِينَ هذه الأُمَّةِ : أبو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ"، فأعطى لأبي ابن كعب هذه المزية عن سائر الصحابة؛ بل أشدُّ من ذلك وأعجب ما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- :

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبَيّ: " إن اللهَ أمرني أن أقرأَ عليكَ القرآنَ". قال أبي: آلله سمّانِي لكَ؟ قال: " الله سمّاكَ لِي" . فجعل أُبَيّ يبكِي. قال قتادة : فأُنبئتُ أنه قرأَ عليه ﴿لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.. الحديث. وهذا لا شك من المنزلة العظيمة لأبي بن كعب، وأن الله -عز وجل- بذاته العلية يسميه خصوصاً.

في رواية أخرى عند الإمام أحمد أنه قيل لأبي: يا أبا المنذر! أفرحت بذلك؟ يعني فرحت بأن الله سمَّاك؟ قال: وما يمنعني، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. يقول: ما الذي يمنعني من الفرح وهذا أعظم ما يفرح به الإنسان.

أهل المدينة أخذوا التفسير وتلقوه عن أبي ابن كعب منهم ومن أشهرهم زيد ابن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرضي.

4. عبد الله بن مسعود

من المدن الإسلامية المشهورة التي كانت منارة علم: الكوفة، فقد كان فيها ابن مسعود -رضي الله عنه-، وهو من هو، صاحب المنزلة والمكانة العالية، وهو القائل: "والذي لا إله غيره، ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلمُ مني بكتاب الله -عز وجل- تبلغه المطايا لأتيته".

وهو الذي أخذ من فم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سبعين سورة، كما جاء في صحيح البخاري، يقول عبد الله بن مسعود: "والله لقد أخذتُ من فِي رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، والله لقد علمَ أصحابُ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أني مِن أعْلَمِهم بكِتابِ اللَّهِ وما أنا بخَيْرِهم".

وقد شهد له النبي -صلى الله عليه وسلم- شهادة عظيمة فقال: "من أحبَّ أن يقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنزلَ فليقرأْه على قراءةِ ابنِ أمِّ عبدٍ". يعني غضاً طرياً كأنه نزل الآن، وهذه شهادة عظيمة لابن مسعود. وفي الحديث الذي مرَّ معنا قبل قليل حين قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "استَقْرِؤا القرآنَ من أربعةٍ :من ابنِ مسعودٍ ، وسالمٍ ، مولى أبي حذيفةَ ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ ، ومعاذِ بنِ جبلٍ".

يروي أبو نعيم في الحلية عن أبي البحتري قال: قالوا لعلي بن أبي طالب: أخبرنا عن ابن مسعود، قال: "عَلِمَ القرآن والسنة، ثم انتهى وكفى بذلك علما"، يعني وقف عندهما فلم يجاوزهما.

ويقول عنه عقبة بن عمرو : "ما أرى رجلًا أعلمَ بما أنزلَ اللَّهُ على محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ من عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، فقالَ أبو موسَى: إن تقل ذلِكَ ، فإنَّهُ كانَ يَسمعُ حينَ لا نَسمعُ ، ويدخلُ حينَ لا نَدخُلُ". يعني كان يتفرّغ للعلم وطلبه وتلقيه.

تبّوُء ابن مسعود لهذه المنزلة العالية جعلت الناس خاصة أهل العراق يرجعون إليه ويأخذون عنه، وأول مبدأ ذلك أن عمر -رضي الله عنه- كان من أعرف الناس بالرجال، لما أرسل عمار بن ياسر على الكوفة أميراً عليها، أرسل معه عبد الله بن مسعود معلمًا ووزيراً، فتفرغ لتعليم الناس علم الشريعة، وفي مقدم ذلك التفسير، ولهذا أخذ عنه كثير من أهل العراق منهم علقمة ابن قيس، ومسروق والأسود بن يزيد، ومُرَّة الهمداني، والحسن البصري، وقتادة ابن دعامة السدوسي.

هؤلاء الذين ذكرناهم من الصحابة والتابعين حقيقة هم غالب من نُقِل عنهم التفسير، وأكثر المروي في التفسير مما نجده الآن في كتب التفسير مأخوذ عن هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم من الصحابة والتابعين، وإذا تأملت كل هذا التفسير الذي بين أيدينا في أصله وأصل بنائه لا يخرج عن هذا المروي عن الصحابة والتابعين -رضي الله عنهم أجمعين-.

نكمل في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى،

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أختان في الله**

قام بالمراجعة والتدقيق وضبط الصياغة والنصوص: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل، والمراجعة والتدقيق، وضبط وإعادة الصياغة، والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

